

قلعة القاهرة

كوكب يطل على مدينة تعز الحاملة

صنعاء-خالد الضبابي

عندما تنظم برنامجاً لزيارة المعالم السياحية في محافظة تعز لابد أن تجعل نصب عينيك زيارة قلعة القاهرة. ولن أكون مبالغاً إذا قلت لك عزيزي القارئ حقيقة مفادها "إذا أردت إن تقرأ تاريخ مدينة تعز فلتقرأه من على موقع قلعة القاهرة". والسبب هو أن تاريخ هذه المدينة الحاملة بدأ يأخذ مجراه منذ تأسيس هذه القلعة الشامخة.



تقع قلعة القاهرة في سفح جبل صبر على مرتفع صخري يطل على مدينة تعز بنحو 120 م، وهي تبرز بشكل واضح تطل على مدينة تعز من كل الاتجاهات. وقد عرفت قديماً بـ"قلعة تعز" إلا إن هذا الاسم لم يدم طويلاً فأطلق عليها فيما بعد "قلعة القاهرة" لينتقل الاسم القديم ويطلق على المدينة نفسها. كما أنها تعرف حالياً بالعديد من التسميات منها "القلعة الحمراء" و"دار الأدب" و"حصن تعز" بالإضافة إلى "قلعة القاهرة".

وأما عن تاريخ هذه القلعة فهناك رأيان حول تاريخها وسنة تأسيسها: الرأي الأول يؤكد على أن تاريخ بناء هذه القلعة يعود إلى العصر الحميري. أي عصور ما قبل الإسلام، وذلك اعتماداً -في إثبات هذا الرأي- على الدراسات الأثرية التي تم إجراؤها على أجزاء من قلعة القاهرة حيث تم العثور على النقوش المسندية والعديد من اللقى الأثرية في القلعة نفسها والتي ترجع إلى عصور ما قبل الإسلام.

الرأي الثاني يرجع تاريخ بناء هذه القلعة إلى عهد الدولة الصليحية (436-532 هـ / 1045-1138 م) إذ بناها السلطان عبد الله بن محمد الصليحي شقيق الملك علي بن محمد الصليحي مؤسس الدولة الصليحية.

يحيط بالقلعة سور دائري أشار إليه نيبور قائد البعثة الدنمركية إلى اليمن في كتابه (من كوبنهاغن إلى صنعاء)، حيث وضع مخططاً للقلعة. وقد أعيد ترميم معظم أجزاء السور مؤخرًا على نفس النمط الذي كان عليه سابقاً مع إضاءة الأجزاء الخارجية من السور. الأمر الذي زاد من جمال هذه القلعة في الظلام، حيث إنها تبدو من بعيد كما لو أنها نجم ساطع في السماء. يبلغ طول السور الأعلى للقلعة 355 م ويتوسط السور مبنى مربع الشكل يحتوي على ثلاث غرف.

وعندما تمنع النظر من بعيد باتجاه هذا الحصن يمكنك التعرف على أسباب اختيار تلك التلة أو القمة لبناء هذا الحصن المشيد على النمط المعماري اليمني القديم، حيث إن القلعة تشرف بشكل مباشر على خط القوافل التجارية المارة من الجند إلى السواء متجهة إلى البحر الأحمر، وهي من الطرق القديمة الشهيرة والمعروفة بطرق التجارة.

وقد أصبحت القلعة اليوم من أهم المواقع السياحية في مدينة تعز لاسيما بعد توجيه رئيس الجمهورية قيادة المحافظة باستثمار موقع هذه القلعة وتحويله إلى معلم سياحي يؤمه الآلاف من الزوار سنوياً. ويحتوي هذا المشروع السياحي على متنزه وحديقة صغيرة ومسرح مفتوح ومسبح وساحة عروض. وما زال العمل يجري فيها على قدم وساق لإكمال هذا المشروع السياحي النوعي في هذه المحافظة الحاملة.

وإذا أردت الوصول إلى هذه القلعة فقد تصعب عليك الطريق إليها، ولكن من بخطب الحسنة لا يغله المهر. فما عليك عزيزي الزائر إلا أن تيمم وجهك شطر الاتجاه الجنوبي لمدينة تعز القديمة عبر خط إسفلتي حتى مدخل القلعة. وهناك طريق آخر عبر اختراق المدينة القديمة لمن يهون سياحة المشي على الأقدام. وعبر هذا الطريق يمكن مشاهدة العديد من المعالم السياحية، مثل جامع المظفر ومسجد ومدرسة الأشرفية وقبة الحسينية، عبر طريق حجري مدرج. وعند وصولك إلى أعلى قمة في قلعة القاهرة تندش حقاً لتلك الصورة البانورامية. ويمكنك أن تقرأ من خلالها تاريخ مدينة تعز الحاملة والتي أصبحت بحق تسمى بعاصمة اليمن الثقافية. وستلاحظ بقايا سورها المنيع الذي كان يبدأ من قلعة القاهرة وينتهي بها وما زالت بقايا هذا السور قائمة حتى الآن كشاهد حي على الدور التاريخي الذي لعبته هذه القلعة عبر العصور المختلفة.

وللمبنى مدخلان: المدخل الرئيسي من الجهة الشمالية والمدخل الآخر من الجهة الجنوبية. كما يوجد على بعد أمتار من الركن الشمالي الغربي خزان للماء مغلق وإلى جواره قبة نصف دائرية. كما يوجد في نفس الجانب بقايا لقصور هدمت. وفي الجانب الشرقي يوجد صهريج ماء يستغل حالياً كمسبح بجانب متنزه القلعة. ■